الفصل الرابع

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

الحسد

رأيت من تتمة القول أن أكتب عن الحسد بعد السحر، لأن بينهما ترابط وكلاهما، ناتج عن الحقد والبغض وكراهية الخير، وتمني زوال النعمة ممن أنعم الله عليهم، ولأن الحسد واللجوء إلى السحر ينتشران في المجتمعات الجاهلة بحقائق الدين وقيمه ودعوته إلى التآلف والتراحم والتسامح، والجهل هنا هو الجهل «بالحلال والحرام» حتى ولو كان الشخص يحمل أعلى الشهادات، وكما أن السحر وما يدور في فلكه حرام، كذلك الحسد؛ لأن الحاسد يتمنى لغيره ما نهى الله ورسوله عنه، فقد قال الله سبحانه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] فالحسد خلق ذميم منع الكفار وبعض أهل الكتاب أن يؤمنوا بسيدنا محمد ﷺ حسدًا عليه لأنه فقير في زعمهم، والنبوة لا يصلح لها إلا الأغنياء، ولذلك قالوا كما حكى القرآن الكريم: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ . . . . . ﴾[2] وتأمل هذه النظرية الدونية من هؤلاء الكفرة، فلما لم ينفع كلامهم، اتجهوا إلى الحسد، وهو أسلوب الحاقدين الغافلين الناقمين. إن الحاسد ليس في قلبه إيمان بالله لأنه لو كان عنده إيمان لعرف أن الرازق هو الله، وهو يحسد من أعطاه الله من خيره، فهو ناقم على الله، وساخط على المنعم الوهاب الذي يهب ما يشاء ولمن يشاء، ولا يسأل عما يفعل لأنه حكيم في تصرفه، عادل في حكمه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٠٩.

(٢) سورة الزخرف الآيتان: ٣١، ٣٢.

﴿ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] والرسول ﷺ يقول: «... ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد»[2]. والمؤمن عليه أن يتعرف على الحسد حتى يكون على بينة بالأمر.

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٦.

(٢) رواه ابن حبان.

obeikandl.com

تعريف الحسد

الحسد خلق ذميم – وهو تمني زوال النعمة من عند أي إنسان حقدًا وكراهية عليه وعلى الناس – والحاسد يضر نفسه قبل أن يضر المحسود ولهذا قال القائل:

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكله

والحسد ناتج عن كراهية الناس والحقد عليهم، ثم هو ساخط على قضاء الله غير راض بقضائه في منح بعض الناس نعمًا من فضله وإحسانه، ومنع هذه النعمة عن البعض عدلاً منه وفضلاً وصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾[1] لهذا عرفوا الحسد بأنه:

- تمني زوال النعمة.
- الحقد على المنعَم عليه.
- الحاسد والحاقد يتمنى أن تكون النعم عنده وحده.

- يتمنى الموت والمرض للناس جميعًا إلا هو، ولهذا أمرنا الله أن نستعيذ من الحاسد، فقال الله سبحانه معلمًا لنا: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[2] والرسول ﷺ يقول «دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء – والبغضاء هي الحالقة، أما إني لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[3].

---

(١) سورة النحل الآية: ٧١.

(٢) سورة الفلق.

(٣) رواه البزار.

دواعي الحسد

الحاسد شخص ناقم على كل شخص، حاقد على الناس كلهم، ليس في قلبه إيمان وهو خسيس خبيث لئيم، قرينه الشيطان، لذلك فالحقارة تلازمه، والندالة في طبعه، وكل ذلك ناتج عن الحسد الذي هو تمني زوال النعمة من عند الغير – والدافع إلى هذا التمني:

بغض الحاسد للمحسود بسبب فضيلة – تظهر عليه – أو منقبة يشكره الناس عليها؛ فيثير ذلك حقدًا في نفس الحاسد، فيتمنى زوال النعمة، لأن الحاسد نفسه ضعيفة، وليس في قلبه رحمة.

أن يظهر من المحسود فضل ينتج عنه مدح من الناس له، وعمل في الخير يشكره الناس على أدائه وحسن العلاقة مع كل الناس، يعجز عنه الحاسد، فيكره ذلك ويثير ذلك حقدًا على المحسود فيحسده، لأن الحاسد يحسد من علا عليه قدرًا، وتقدم عليه اجتماعيًا، والحاسد ينافس المحسود ويحاول أن يتقدم عليه، وليس لديه القدرة فيعجز، وهنا تدب الغيرة في قلبه، ولهذا روي في الأثر «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود»، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «ما كانت نعمة الله على أحد إلا وجد لها حاسدًا».

إن الحاسد شحيح بخيل لا يسهم في فعل الخير، ولا يساعد أحدًا من الناس في أي شيء، وليست لديه رغبة في المساهمة في معاونة الناس، وهو قد دخل فيمن عناهم الله بقوله: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾[1] إن ظهور النعمة على أي إنسان يثير حوله الكلام، وهنا يظهر الحساد، لأن ظهور النعمة يثير الحساد ويحرك نفوسهم المريضة ويظهر الحقد في عيونهم وما تخفى صدورهم أكبر، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا

(١) سورة الإسراء الآية: ١٠٠.

﴿يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1] إن الحاسد يموت كمدًا، لما يراه من خير الله ونعمه عند الناس. ولهذا قال معاوية ﷺ: «ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد نفسه قبل أن يصل شره إلى المحسود»، وقال الأصمعي: قلت لأعرابي عمّرَ:ما أطول عمرك؟ قال: تركت الحسد فعمرت.

(١) سورة آل عمران: آية ١٢٠.

obeikandl.com

هل يتأثر أحد بالحسد؟

نعم هناك ضرر يلحق المحسود من بعض الناس الذين تتقد عيونهم نارًا، وهي نتيجة لما في قلوبهم من حقد وبغض، ولهذا فإن نظراتهم مريبة، فيها حقد وغيرة على من ينظرون إليه، ولما عنده من نعم ليست عند الحاسد الذي ليس لحسرته انتهاء، وليس لما في قلبه شفاء، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[1] لأن الحسد داء مدمر وقد قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[2]، ويقول رسول الله ﷺ: «العين حق، العين حق»[3]، ويقول عليه الصلاة والسلام «العين حق، تورد الرجل القبر، والجمل القدر، وإن أكثر هلاك أمتي في العين»[4]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «قد تدخل الرجلَ العينُ في القبر، وتدخل الجمل القدر»[5] إن الحاسد يخرج شرر عينه كأنه رصاص مصوب إلى المحسود، وهذه النظرة الساخطة يغذيها الشيطان، وينفخ في الحاسد، يقوي حقده، ويؤجج نار العداوة في قلبه على المحسود. ولهذا قال رسول الله ﷺ «العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم»[6] ولهذا قال بعض الحكماء «الحسد جرح لا يبرأ، وحسب الحسود ما يلقي» وقال أعرابي: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد، لأنه يرى النعمة عليك، وكان المفروض أن تكون عليه، وقال بعضهم «الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضًا، ولن ينال من الخلق إلا جزعًا وغمًا،

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١١٨.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه البزار.

(٥) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤١١ – دار المعرفة. لبنان.

(٦) رواه الإمام أحمد.

ولا ينال عند الفزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً، إن الحسد هو كراهة النعمة عند الناس، وحب زوالها عن المنعم عليه، والحاسد يفرح بزوال النعمة أيًا كان نوعها، ويخيل إليه أنه حقق أمنيته، وما عرف أنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، ورسول الله ﷺ يقول: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»[1] وقال ﷺ: «إنه سيصيب أمتي داء الأمم»، قالوا: وما داء الأمم؟ قال: «الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج»[2]، ويقول عليه الصلاة والسلام أيضًا: «إن لنعم الله أعداء»، فقيل: ومن هم؟ قال: «الذين يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله»[3]، والحسد مرض يدمر صاحبه لأنه يضعف بدنه، ويشتت فكره، ويمزق نفسه، ولهذا قال الشاعر:

إني لأرحم حاسدي من حرّما ... ضمّت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

وقال الآخر:

جامل عدوك ما استطعت فإنه ... بالرفق يطمع في صلاح الفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنه ... إن نمت عنه فليس عنك براقد
إن الحسود وإن أراك تودّدًا ... منه أضر من العدو الحاقد
ولربما رضي العدو إذا رأى ... منك الجميل فصار غير معاند
ورضا الحسود زوال نعمتك التي ... أوليتها من طارف أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره ... ترمي حشاه بالعذاب الخالد

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه الطبراني.
(٣) رواه الطبراني.

أو مـا رأيـت النـار تأكـل نفـسها حتـى تعـود إلى الرمـاد الهامـد

تـضفو عـلى المحـسود نعمـة ربـه ويـذوب مـن كمـد فـؤاد الحاسـد

وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1].

(١) رواه الطبراني. والآية من سورة الأحزاب رقم: ٥٨.

obeikandl.com

همسة إلى الحاسد

نهمس في أذن الحاسد ونقول له: اعلم أيها الحاسد أن الحسد مرض يذيب الجسد، ويفري الكبد، وهو نوع من الكبر وخبث النفس، وحب الرياسة، والتسلط وحب إيذاء الناس، والتلذذ بعذابهم، وحرمانهم، والحاسد يفرح بمصائب الناس ويشمت فيهم، وهو يشترك في كل فتنة تؤجج العداوة بين الناس، قال زكريا نبي الله عليه السلام قال الله تعالى: «الحاسد عدو لنعمتي، متسخط لقضائي، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي» وقال الحسن البصري رضي الله عنه: «يا بن آدم لم تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه، فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك، فلم تحسد من مصيره إلى النار» وقد وصف الله لنا أعداءنا وميزهم بعلامات حتى نتعرف عليهم فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1] لهذا كان علاج الحسد عسيرًا لأنه غامض فهو مرض قلبي، والحسد قرين الكفر وحليف الباطل فهو سبب كل قطيعة بين الناس ومنه تتولد العداوات وبه تتفرق الجماعات، وبسببه تتقطع الأرحام؛ فالحاسد خبيث النفس، شحيح بالخير، جشع، يفرح بالمصائب التي تصيب الناس، وهو حليف الشيطان الذي لا يفارقه، فهو له قرين. ولما كان الحاسد متمردًا على قضاء الله فقد قال الله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران الآيات: ١١٨ – ١٢٠.

(٢) سورة الزخرف الآيتان: ٣٦، ٣٧.

فالحاسد عليه أن يعلم أن مرضه هذا له علاج من:

القرآن الكريم.

استشعار الحاسد أن الله مطلع عليه وهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

يستشعر الخوف من الله الذي سيحاسبه في يوم عسير.

يتذكر موقفه في أرض المحشر وهو على رءوس الأشهاد، وأنه سوف ينكشف حاله؛ فعليه أن يتمثل ذلك ويعمل حسابًا لنفسه ويقدر كل ذلك.

ويبدأ في علاج نفسه بنفسه ويتلخص العلاج في:

يستشعر ضعفه وأنه لن يخلصه من ذلك إلا الله، فيطلب منه أن يساعده ويعاونه ليتخلص من هذا المرض.

أن يحافظ على الصلاة ويؤدي الفرائض والنوافل.

يكثر من صيام الاثنين والخميس وغير ذلك من الأيام.

أن يكثر من الاستغفار والصلاة على النبي محمد ﷺ.

أن يمارس ألعاب الرياضة حتى ولو كان المشي.

يقرأ في الكتب الدينية المعروف مؤلفها، وفي الكتب الثقافية وغير ذلك.

يحضر صلاة الجماعة والجمعة، ويستمع إلى دروس العلم والمواعظ من العلماء المعروفين، ويصاحبهم ويحاورهم، ويستوضح ما غمض عليه من أمور دينه ودنياه.

يروح عن نفسه باللهو المباح، ويحضر مع زملائه حفلات سمر.

لا ينظر إلى من هو أكثر منه مالاً، ولا من هو أعلى منه سلطة ومركزًا ونفوذًا، وإنما ينظر إلى من هو أقل منه، ليستشعر نعمة الله عليه، فيشكره ويحمده.

يتخذ أصدقاءه من الناس الذين يذكر الله برؤيتهم، ويعينونه على أداء العبادات، ومساعدة الأيتام والفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات.

يشترك في جمعية خيرية، ويتطوع لأداء عمل خيري له نفع يعود على المجتمع بالخير والرفاهية.

لا ييأس أبدًا، وإنما يمتلئ قلبه بالأمل والرضا والقناعة، ويحمد الله في الرخاء، ويصبر عند البلاء، إن الحسد مرض نفسي خطير له آثار سيئة تلحق الحاسد، ويؤثر ذلك في علاقاته الاجتماعية – والحسد يتولد من الحقد، وهو نتيجة غضب، لأن الغاضب مريض بحب العظمة والكبرياء والغطرسة؛ فيبغض الناس ويحقد عليهم، ويحاول أن ينفس عما في نفسه وعن حقده، بالانتقام من المحسود. إن الحاسد الحاقد الغاضب يحاول أن ينتقم من المحسود، ويدمره ويقضي عليه، ولا تهدأ نفسه إلا إذا رأى النتيجة؛ فإذا لم ير شيئًا مما يتمناه، زادت حسرته ولذا قال الشاعر:

دع الحسود وما يلقاه من كمد ... يكفيك منه لهيب النار في كبده

إن لمت ذا حسد نفست كربته ... وإن سكت فقد عذبته بيده

ويقول آخر:

أيا حاسدًا لي على نعمتي ... أتدري على من أسأت الأدبا

أسأت على الله في حكمه ... لأنك لم ترض لي ما وهبا

فأحمد ربي بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلبا

ويقول الآخر:

إن شئت قتل الحاسدين تعمدًا ... من غير مديات عليك ولا قود

وبغير سم قاتل وصوارم ... وعقاب رب ليس يغفل عن أحد

عظم تجاه عيونهم محسودهم ... فتراهمو موتي النفوس مع الحسد

واعلم أيها الحاقد الحاسد أن بعض الصالحين قال: ثلاثة لا تستجاب دعوتهم؛ آكل الحرام – والنمام الذي يغتاب الناس – ومن كان في قلبه غل وحقد وحسد. وقد روي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان – قالوا: يا رسول الله، صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»[1].

(١) رواه ابن ماجه.

obeikandl.com

أيها الحاسد

هل لك أن تقلع عن هذه العادة الذميمة، وتتوب إلى الله، وتتخلى عن هذا المرض الخبيث الذي يقتلك ويدمرك قبل أن يدمر المحسود، لأن الحاقد الحاسد يكره نعم الله على الناس، وهذا مرض قبيح، وخصلة مذمومة، والحسد يوقعك في أشياء مرذولة أهمها:

هم وغم لا ينقطعان أبدًا حتى تقلع عن الحسد والحقد.

تنزل بالحاسد مصائب لا يؤجر عليها.

مذمة الناس وبغضهم وعدم مجالسته، ولا يقبلون زيارته لهم ويكرهون رؤيته.

الحاسد يحل عليه غضب الرب، ويغلق في وجهه أبواب الخير.

الحاسد لا يوفق إلى عمل طيب لأنه شر، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

الحاسد يفضحه الله بين الناس في الدنيا، وعلى رءوس الأشهاد يوم القيامة، مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورات أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف رحله»[1] لهذا تجد الحاسد في حياته وهو في:

انخفاض منزلته – وانحطاط درجته، ولا يسود أبدًا، وليس له مكانة بين الناس، لذلك قيل «الحسود لا يسود» وقيل:

لا يعرف الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلا من طبعه الحسد

ندم وحسرة – نار تشتعل في قلب الحاسد، لا يجد لحسرته انتهاء، وليس لجسده شفاء، ولا لسقامه دواء، ولذلك قيل «ليس لداء الحسد دواء».

---

(١) رواه الترمذي.

مقت الناس له ونفورهم منه والابتعاد عنه، يتوارون عن عيونه ويخافون من نظراته، ولذلك قيل «شر الناس من يبغض الناس ويبغضونه»، وقيل «أسد تقاربه خير من حسود ترافقه».

يا أيها الحاسد اتبع تعاليم الدين، واستعمل عقلك، واعرف خلاصك في أن تطهر قلبك بتوبة صادقة، ورجوع إلى الله، لأنك لا تستطيع أن تغلب قدر الله. وقد قال الله سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[1]. إن الحسد تسخط على قضاء الله في تفضيل بعض الناس على بعض، وهذا التفضيل له حكمة، وهو من فعل الله حسبما جاء في قوله: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾[2]. إن الإنسان يرضى بما قدر الله له، مع أنه يأخذ بالأسباب، مع ملازمته لأخلاق الإسلام من مراقبة الله. طهارة القلب. عدم الكذب. عدم الافتراء على الغير. ويؤمن بقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3] وقول رسول الله ﷺ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. التقوى ها هنا. التقوى ها هنا- وأشار إلى صدره – بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله»[4].

(١) سورة النساء الآية: ٥٤.

(٢) سورة النحل الآية: ٧١.

(٣) سورة النساء الآية: ٣٢.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

سبب ذم الحسد

لأن الحسد خلق دنيء يفضي بصاحبه إلى الهلاك. والحاسد عامل هدم للأسر، ورمز إفساد وتخريب في المجتمع، وتفريق بين الأحبة، ولأن حرمة الحسد ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة على حرمته، لما له من آثار سيئة، ولأن ضرر الحاسد يتعدى إلى المحيطين بالمحسود وأصدقائه، ولا يتخلق بهذا الخلق إلا كل خسيس هاتك للستر، ميت الضمير، ليس عنده ذرة من إيمان.

لذلك تجد الحاسد شخصًا متكبرًا يحتقر غيره ويستصغره وهذا هو شعار الكفرة الذين أصيبوا بعمى البصيرة ولهذا نرى أن أقوام الأنبياء تكبروا وتغطرسوا – فقد قال زعيمهم فرعون لقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[1] وقال بعضهم: ﴿مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[2] وقال آخرون: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾[3] وقالوا في حق سيدنا محمد ﷺ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[4] كل هذا من باب الاستخفاف بالأنبياء والأنفة من اتباعهم والتعالي عليهم لذلك تعجبوا من أن يفوز الأنبياء بتلقي الوحي من الله والنبي ما وهو إلا بشر مثلهم فحسدوهم، وأحبوا زوال النبوة عنهم، خوفًا من تفضيل الأنبياء عليهم، ولذلك أعلنوا في وقاحة ورددوا قولهم ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾[5] وهذا تكبر نتج عنه الحسد الذي يدخل من يمارسه في زمرة الكافرين الناقمين المعترضين على مشيئة الله سبحانه، ولهذا قال الله جل شأنه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن

(١) سورة المؤمنون الآية: ٤٧.
(٢) سورة يس الآية: ١٥.
(٣) سورة الأنعام الآية: ٥٣.
(٤) سورة الزخرف الآية: ٣١.
(٥) سورة الإسراء الآية: ٩٣.

﴿تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[1] لقد حاول المشركون أن يرموا النبي محمدًا ﷺ بنظراتهم القاتلة، ولهذا وجه الله نبيه وصفيه سيدنا محمدًا ﷺ إلى الصبر، وأن يحتمل المواقف العنادية من قومه، فإن الضيق يعقبه فرج. ولما غلب المشركون على أمرهم حاولوا أن يزلقوه بأبصارهم، حتى يسقط فزعًا ورعبًا من نظراتهم المصوبة إليه، التي كلها غيظ وحقد وحسد وغل منهم حين يستمعون القرآن يتلى، تنطلق نظراتهم ملتهبة كأنها سهام من عيونهم، وفي ظنهم أن رسول الله ﷺ حين يرى نظراتهم تصوب إليه يفزع ويخاف ويكاد يسقط من هول تلك النظرات لأن العين لها قدرتها الخارقة على التعبير عما في ضمير الناظر وعواطفه، وتعبر عن الحب أو البغض، لأن العين مرآة تنعكس عليها مشاعر الإنسان ويظهر على صفحاتها ما يعتمل بداخل الشخص من رضا وسخط. فالعين إذًا سلاح يستعمله الشخص لقتل من يشاء، وفي هذا جاء قول الله: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾[2].

فالحاسد يرمي المحسود في غفلة منه بنظرة قاتلة مدمرة، لأنها نظرة منطلقة من نفس مريضة، وقلب مشحون بالغل والحقد، ولكي نعرف خطورة العين، علينا أن نعرف أن بعض الحيوانات تستعمل النظرة في أثناء الصراع الدائر بين بعضها، وخذ مثلاً الحية، فلكي تشل حركة من أمامها ترميه بنظرة يتطاير منها الشرر، فإذا تلاقت العيون شلت حركة عدو الحية، وجمد في مكانه، وقد يموت من الخوف قبل أن تصل إليه تلك الحية. إن النظر المشحون بسموم العداوة، له تأثير في المنظور إليه لذلك ننصح أنفسنا وغيرنا بأن الشخص عليه أن يكون في عينيه انكسار، وأن يخاف الله، ويطهر قلبه ونفسه من الغل والحقد والحسد، ولهذا كانت نظرة الحاسد مليئة بالغيظ والشتم البذيء، والافتراء الذميم، وفي نظرته كل حقد مذموم، فمن نوى أن يطهر قلبه أعانه الله ووفقه، ومن كان مع الله يحب الخير للناس جميعًا،

(١) سورة آل عمران الآية: ١٢٠.

(٢) سورة القلم الآية: ٥١.

كان الله معه فخير الناس أنفعهم للناس، «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» من كان هكذا فالله يحبه، يدافع عنه ويتولاه ويسعده، وييسر له الأمور ويحفظه.

obeikandl.com

أول حاسد متكبر

أول من مارس الحسد هو إبليس اللعين، وكانت هذه أول خطيئة وقعت في الملأ الأعلى، فالله سبحانه عندما خلق آدم وصوره، كانت الملائكة تعجب منه لطول قامته، وحسن صورته، لأن الملائكة لم يكونوا قد رأوا شيئًا مثله، فمر به إبليس اللعين، فنظر إليه بحقد، وقال في نفسه: لأمر ما خلقت، ثم ضربه فإذا هو أجوف، فدخل من فيه وخرج من دبره، ثم قال لمن حوله من الملائكة: هذا خلق أجوف لا يتماسك ولا يثبت، وأسر إبليس عليه اللعنة في نفسه أمرًا، وقال: لئن فضلت علي لأعصينك ولئن فضلت عليك لأهلكنك [1].

فلما نفخ الله الروح في آدم، جمع الملائكة ومعهم إبليس، فأمرهم أن يسجدوا لآدم سجود تحية، فسجدت الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس، وهو ليس من الملائكة، وإنما هو من الجان كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[2] امتنع إبليس عن السجود تكبرًا، بسبب ما أضمره في نفسه نحو آدم، ولأنه حسد آدم على هذا الاحتفال العظيم الذي أقيم له. فالمعصية هنا مركبة.. كبر.. وحسد، ولهذا طرد إبليس من رحمة الله، وبدأ ينمي معارفه، ويضع خططه، لإضلال آدم لينفس عن نفسه المتمردة – وطرد إبليس من السماء وحرم منها، وهبط إلى الأرض ملعونًا، ثم إن آدم ارتكب معصيته؛ حيث نسي العهد وأكل من الشجرة، وأنزل هو الآخر ومعه حواء إلى الأرض، ومن هنا نعلم أن الكبر أول معصية، وأن الحسد قرين الكبر وملازم له، ومما هو معلوم أن الله لا يحب المتكبرين، فقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ

---

(١) قصص الأنبياء للنيسابوري ص ٢٢.

(٢) سورة الكهف الآية: ٥٠.

ٱلْحَمِيرِ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[2] وفي حديث قدسي رواه رسول الله ﷺ عن رب العزة «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي»[3] ويقول عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر، الحق وغمط الناس»[4] ومر بالحسن بن علي رضي الله عنهما شاب عليه بزة حسنة، فدعاه فقال له «أيها الشاب أراك معجبًا بشبابك محبًا لشمائلك، وكأني بالقبر غدًا وقد وارى بدنك، ووجدت عملك، ولا شفيع معك، ويحك داو قلبك، فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم»، وقد نظر مطرف بن عبد الله إلى المهلب بن أبي صفرة وهو يتبختر في جبة خز، ويتعالى على الناس. فقال له: هذه مشية يبغضها الله ورسوله، فقال له المهلب: ألا تعرفني؟ فقال له: أنا أعرفك فأنت أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة، فانتفض المهلب وترك مشيته وتواضع «وكان المهلب ملكًا» ولنا أن نتأمل ما حدث من سيدنا سلمان الفارسي ﷺ، كان أميرًا على المدائن، وكان يلبس ملابس أعجمية جميلة جدًا، وبينما هو يسير في الطريق نادى عليه مناد وقال: احمل هذا، وكان يحسبه حمالاً»، فحمل سلمان متاع الرجل على رقبته، فرآه الناس فعرفوه، فقالوا لصاحب الشيء: إنه الأمير، فتقدم الرجل من سلمان وأراد أن يحط عنه ما حمله. فقال سلمان: لا، حتى أبلغ المكان المتفق عليه، وهذا تواضع تعلمه سلمان في مدرسة النبوة.

(١) سورة لقمان الآيتان: ١٨ – ١٩.

(٢) سورة غافر الآية: ٣٥.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي.

الكبر

ولما كنا قد تكلمنا عن الحسد، وأساسه الكبر، فعلينا أن نعرّفه، حتى نكون على بينة من الأمر، فقد قالوا عن الكبر بأنه هو التعالي والتباهي والاستعلاء والشموخ بالأنف، والنظر إلى الناس نظرة دونية، ويعطي المتكبر نفسه أكثر مما تستحق، ويخيل إليه أنه وحده الذي يفهم، وغيره لا شيء. والمتكبر لا يسمع لنصح ناصح، لأنه معجب بنفسه، يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين. والكبر يوغر صدور الناس، ويلهي عن التآلف، ولهذا قال «أردشير بن بابك» ما تكبر إلا أحمق، لا يدري صاحبه أين يذهب به، فيصرفه ذلك إلى الكبر الذي هو الحمق، والشعور بالنقص، ووضاعة النفس، والجهل «ولهذا قال ابن المعتز» لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال، استعانوا بالكبر ليعظم شأنهم، ويرفع قدرهم، وليس بحاصل أبدًا، المتكبر معجب بنفسه لا يستمع لنصح غيره، ويظهر محاسنه، ويخفي عيوبه، في زعمه أن الناس لا تعرف ذلك، والحقيقة أن كل شيء يظهر، وإن كان في السر، ويعرفه الناس، فقد قال الشاعر:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تُعلَم

والإعجاب ينشأ نتيجة مدح الناس للشخص وإطرائهم له، ولذلك قال عمر بن الخطاب ﷺ «المدح ذبح» وقال بعض الحكماء: من رضي أن يُمْدَح بما ليس فيه فقد أمكن الساخر منه «وفيما أنزل الله من الكتب السابقة» عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه، كيف يفرح، وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه، كيف يغضب، وقد قال الشاعر:

يا جاهلاً غره إفراط مادحه ... لا يغلبن جهل من أطراك علمه بك

أثنى وقال بلا علم أحاط به ... وأنت أعلم بالمحصول من ريبك

وحكى الأصمعي أن أبا بكر ﷺ كان إذا مُدِح قال: «اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرًا مما يقولون ويظنون، واغفر لي ما لا يعلمون» ومشى قوم خلف ابن مسعود فقال: ارجعوا فإنها زلة للتابع، وفتنة للمتبوع.

وقال أبو بكر ﷺ: «لا يحقرن أحد أحدًا من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير» وقال الحسن البصري «ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط، إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك، قلَّ أو كثر. ووقف النعمان بن بشير يومًا على المنبر، فقال: «إن للشيطان مصالي وفخوخًا وإن مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله» إن الإعجاب يحمل الشخص على الاستبداد بالرأي، وترك مشورة الرجال، وقال بعض الحكماء: «ما رأيت متكبرًا إلا تحول داؤه فيّ – يعني – أني أتكبر عليه» ولهذا قالوا: الكبر على أهل الكبر صدقة. وقال يحيى بن خالد البرمكي «أحسن ما وجدت في طراز الحكم من البلاغة، البخل والجهل مع التواضع، خير من السخاء والعلم مع الكبر» وقديمًا قال الشاعر:

يا مظهر الكبر إعجابًا بصورتك ... انظر خلاك فإن النتن تثريب

لو فكر الناس فيما في بطونهمُ ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن آدم مثل الراس مكرمة ... بأربع هو في الأقذار مضروب

أنف يسيل وأذن ريحها سهك ... والعين مرفضة والثغر ملعوب

يا بن التراب ومأكول التراب غدًا ... أقصر فإنك مأكول ومشروب

إن الشخص المعجب بصورته المتكبر، لو تصور ما فطر عليه، لخفض جناحه وتواضع، ولذلك قال الأحنف بن قيس «عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين، كيف يتكبر».

من الطرائف:

إن الحجاج بن يوسف الثقفي لما تولى العراق سأله أحد أصحابه «كيف وجدت منزلك بالعراق؟ قال: خير منزل. قيل له: وما تتمنى؟ قال: تمنيت لو أن الله أمكنني من أربعة أفراد كنت تقربت بدمائهم إلى الله. قيل: من هم؟ قال:

الأول «مقاتل بن مسمع» والي سجستان، أتاه الناس يهنئونه فأعطاهم أموال بيت المال، فلما عزل، دخل مسجد البصرة فبسط الناس له أرديتهم، فمشى عليها، وقال لرجل يماشيه «لمثل هذا فليعمل العاملون».

الثاني «عبيد الله بن زياد بن ظبيان بن مطر التيمي» خوَّف أهل البصرة أمرهَ فخطب خطبة أوجز فيها. فنادى ناس من أعراض المسجد: أكثر الله فينا مثلك، فرد عليهم «لقد كلفتم الله شططا».

الثالث «معبد بن زرارة» كان ذات يوم جالسًا في طريق فمرت به امرأة فقالت: يا عبد الله، كيف الطريق إلى موضع كذا؟ فقال لها: أهنتيني، أمثلي يكون عبدًا لله؟

الرابع «أبو شمال الأسدي» ضلت راحلته منه، بحث عنها فلم يجدها، فقال والله إن لم يرد إلي راحلتي لا صليت له صلاة أبدًا، ثم وجدها، فقالوا: قد رد عليك راحلتك فهيا صل، فقال: إن يميني يمين مُصِرّ

فانظر إلى هؤلاء الأربعة وهم عينات من الناس كيف أفضى بهم العجب بأنفسهم، والتكبر أوصلهم إلى حمق وغباء فصاروا عبرة أمام الناس، ودلوا على غبائهم بكلامهم وأفعالهم بسبب الكبر والغطرسة، وسوف ينكل بهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ويقال لأحدهم وهو يسحب على وجهه في نار جهنم «ذق إنك أنت العزيز الكريم» ولأمثالهم يقول الشاعر:

عجبت من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذرة

وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذرة

وهو على شموخه وتكبره ... ما بين ثوبيه يحمل العذرة

إن الإنسان المتكبر إن كان متكبرًا بسبب ما يتمتع به من جمال، فليعلم أن المرأة هي التي تتباهى بجمالها، والرجل والمرأة كلاهما لا بد أن ينظر إلى ما يحمله في جسده، وفي ذات نفسه،

ليتخلق بالتواضع، وينزل من كبريائه، فهو كما يقول أبو حامد الغزالي: «ومهما نظر الإنسان إلى باطنه، رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فإنه وكل به الأقذار في جميع أجزائه: الرجيع في أمعائه – والبول في مثانته – والمخاط في أنفه – والبزاق في فيه – والوسخ في أذنيه – والدم في عروقه – والصديد تحت بشرته – والصنان تحت إبطيه – يغسل الغائط كل يوم دفعة أو دفعتين – ويتردد كل يوم على الخلاء مرة أو مرتين، ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره، فضلاً عن أن يمسه بيده»[1] ثم يقول في نفس الصفحة «كيف ولو كان جماله باقيًا، ومن هذه القبائح خاليًا، لكان يجب أن لا يتكبر، لأن ما يحمله لا يستطيع أن يتخلى عنه، والقبيح الذي يحمله كذلك – جمال الشخص الذي يتباهى به لا بقاء له، بل يمكن أن يزول بمرض جدري، أو قرحة معدة، أو أسباب أمراض أخرى، فعلى أي شيء يتكبر الإنسان، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2] الصعر: ميل الخد كبرًا وتعاليًا – والمرح: عجب الإنسان بنفسه، مع خفة وطيش عن زهو وتيه. وصعر الخد يكون من مشاعر التعالي، والتبختر في المشي يكون عن عجب وزهو، والشخص الذي بهذه الصورة يكرهه الناس ويبتعدون عنه، وبهذا يعزل المتكبر نفسه عن الناس؛ فيشعر بالجفاء وابتعاد الأشخاص عنه، ومن هنا تتولد العداوة والبغضاء في نفسه على الناس. إن الكبر مفتاح كل رذيلة، وباب كل شر وضلال، لهذا قال الله سبحانه: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[3] بيان لما عليه المتكبر من شر، حيث يخرج في مشيته عما اعتاد الناس عليه في مشيتهم، فيسرع أو يبطئ لغير سبب، لكنه يريد أن يكون على غير ما تآلف عليه الناس، ورفع الصوت من غير سبب، هو استخفاف بمن حوله، وخروج على مألوف الجماعة، ثم هو إلفات النظر إليه، بسبب هذا الصوت المدوي، الذي يقطع على الناس حديثهم؛ لذلك شبهه الله بصوت الحمار،

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ ٣ – ط/ دار إحياء الكتاب العربية ص ٣٥١، ٣٥٢.

(٢) سورة لقمان الآية: ١٨.

(٣) سورة لقمان الآية: ١٩.

الذي يطلق صوته بدون داع، ولم تكن يا بن آدم بهذا المنظر، وهو كما يقول أحد الناس وكان يخطب في الناس، فقال: ابن آدم كنت في أول أمرك قد خلقت من مجرى البول، ثم من الأقذار الشنيعة – من النطفة ودم الحيض – ثم خرجت من مجرى البول مرتين. إذا تأمل الإنسان ذلك، لم يبق له سبب لأن يتكبر، لأن أضراره كثيرة في الدنيا والآخرة. إن أي إنسان يجوع ويعطش ويسقم ويمرض، ويغفل وينسهو، ويحزن ويجزع، ويصاب بالقلق والتوتر، فكيف يتكبر وهذا شأنه؟! وعلى الإنسان أن يدرك أن حياته ومصيره بيد الله، فهو في حاجة إلى إرضاء الله وعفوه ومعاونته ومساعدته، وأن يكون مع الناس بالتعاون والتسامح والحب والتفاهم، وكل ما من شأنه أن يوحد الصف ويقوي الجماعة. والإنسان عليه أن يتطلع إلى السماء بحسن السعي على الأرض، ويمشي على الأرض بخلق السماء. إن الكبر له آثار سيئة على النفس، ولا يتواضع الإنسان إلا إذا ذهبت آثار الكبر من قلبه، ولك أن تتأمل في شخصية سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو أمير المؤمنين، خرج من بيته في وقت شديد الحر، وقد وضع رداءه على رأسه، فمر به غلام يركب حمارًا فقال له: يا غلام احملني معك؟ فوثب الغلام من على الحمار، وقال: يا أمير المؤمنين اركب، فقال: لا أركب حتى تركب أنت، وأركب أنا خلفك، أتريد أن أركب أنا على المكان الوطيء، وتركب أنت في الموضع الخشن؟ فركب الغلام وركب عمر خلفه والناس ينظرون إليه[1] وهذا تواضع من عمر لأنه يركب مع صاحب المطية وقد استأذنه. إن الله حرم الكبر، لأنه قرين الحسد، وحبب إلينا التواضع، فنبهنا إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[2].

ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد»[3].

---

(١) المنتخب للدينوري جـ ٣ ص ٤١٧.

(٢) الفرقان الآية: ٦٣.

(٣) رواه أبو داود.

ويقول الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

ويقول الآخر:

إن شئت أن تزداد قدرًا ورفعة ... فلِن وتواضع واترك الكبر والعجب

إن الكبر عمل من أعمال الشيطان، والحسد قرينه، والشيطان له أساليبه في تزيين ذلك للناس، حتى يخذلهم عن العبادة، لأن الشيطان للإنسان عدو مبين، فنحذر من الكبر، والعجب بالنفس، والاستخفاف بالآخرين، واحتقارهم والتعالي عليهم، كما قال المشركون لرسول الله ﷺ استهزاء وتعاليا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝﴾[1] وكما قال إبليس اللعين عندما سئل من الله سبحانه: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[2] فلنترك الكبر ونتخلص منه، حتى لا نكون من الحاسدين.

(١) سورة الفرقان الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٢.

obeikandl.com

أول حاسد على الأرض

الحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء، لأن إبليس اللعين حسد آدم عليه السلام. وأول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض، حيث حسد ابن آدم أخاه فقتله. ومن لحظتها وكل ذي نعمة محسود، لذلك قيل «استعينوا على قضاء حوائجكم بكتمان السر، فإن كل ذي نعمة محسود «وقيل» ما كانت نعمة الله عند أحد إلا وجد لها حاسدًا» أما ما كان من أمر ولدي آدم، فإن الله سبحانه قد أمر آدم أن يتزوج كل ذكر من أولاده توءم أخيه الأنثى، وأن لا يتزوج الأخت التي ولدت معه. وقد قال المفسرون: إن توءم قابيل كانت أجمل من توءم هابيل، فأراد قابيل أن يتزوج أخته التي ولدت معه لأنها جميلة، أما هابيل فقد رضي برأي أبيه لعلمه بأنه وحي من الله، ودب الشقاق في أول أسرة على وجه الأرض، وفي النهاية وجه آدم ولديه أن يتقدم كل منهما بقربان إلى الله، فمن قبل قربانه يتزوج هذه الفتاة الجميلة، وتقدما فعلا، فتقبل الله من هابيل، ولم يتقبل من قابيل الذي رفض أن ينقاد لرأي السماء، بعد أن رفض رأي أبيه. ولعب الشيطان بعقل قابيل، وسول له أن يقتل أخاه لكي يخلو له الجو ويقطع اليد التي تنازعه في الفتاة التي يريدها لنفسه، ووسوس الشيطان لقابيل بهذا – وحتى يضع أمر الله وأمر أبيه أمام أمر واقع – وهكذا نجد أن كل مجرم يتأول في شرع الله بما يتفق مع هواه، فيبدل ويغير حسب إشباع رغباته وشهواته، ويكون ذلك عن طريق الشيطان وإغوائه. وهكذا توعد قابيل هابيل وكان هابيل، طيب القلب يقول لأخيه: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَٰسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾[1] وقد غطى الحسد على عقل قابيل، وطمس على بصيرته، ولهذا نشب الصراع الدامي وانطلقت شرارة الحسد، الذي هو العلة المتمكنة من النفوس الهزيلة، وسال دم هابيل بيد الأخ الحسود، الذي لم ير في كلمات أخيه ما يرقق قلبه، ويهدئ نفسه، ولم يزده لين أخيه إلا عنادًا، ونصحه إلا جفاءً، وهكذا يكون

(١) سورة المائدة الآيتان: ٢٨، ٢٩.

الحاسد الذي يصر على حسده، ولو كان في ذلك هلاكه وسوء مصيره. إن الشخص الحسود يمتلئ صدره نقمة على الناس، ويبسط لسانه للنيل من أعراضهم، ويمد يده بالأذى لكل من تلبسه نعمة من نعم الله؛ فالحاسد يلقي نفسه إلى التهلكة، ويخسر الدنيا والآخرة، ولهذا قال الله عن القاتل: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾[1] إن الحسد أحط مرتبة، لأنه يجعل الشخص وكأنه من عالم الحيوان، فهو ركب موجة الضلال، وغلبه الهوى، فأعمى بصيرته، لهذا تجد قابيل بعد أن قتل أخاه يصيح ويقول: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾[2] هكذا يقول القاتل الحاسد من فم يقطر مرارة، ومن قلب يفيض حسرة وندمًا، لأنه رأى نفسه أحقر من الغراب الذي أصبح أستاذًا للقاتل الفاشل، الذي اتخذ التصفية الجسدية أسلوبًا له. إن الحسد مرض يقطع أواصر المودة، ويفسد علاقة الأخوة، ويؤجج العداوة في الصدور والبغض في النفوس، ولهذا حرمه الإسلام ونهى عنه سيدنا محمد ﷺ.

(١) سورة المائدة الآية: ٣٠.

(٢) سورة المائدة الآية: ٣١.

obeikandl.com

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، هكذا يقول الواقع، ولقد ذكروا أن رجلاً من عامة الناس كان يغشى مجالس أحد الملوك، وهو شخصية لا يؤبه لها، لكن هذا الرجل لفت نظر الملك إليه، بحسن سمته وصواب رأيه، فقربه الملك منه، وأصبح من جلسائه المقربين وندمائه الأدنين، فحسده أحد الأشخاص، وبدأ يسعى بالوشاية ضد هذا الرجل إلى الملك، ويقول له: هذا الرجل الذي قربته منك يتكلم عنك بسوء الكلام، يقول عنك أنك أبخر، فقال الملك: كيف يصح عندي ما تقول؟ فقال الرجل للملك: قربه منك غدًا وسوف ترى ما تتحقق منه أني صادق – وجه الرجل الدعوة لهذا الرجل لتناول الطعام عنده غداً وقبل الدعوة قبل أن يذهب إلى الملك، وأطعمه الرجل ثومًا وبصلاً، فلما ذهب الرجل لمقابلة الملك وقربه وأدناه وأحسن لقاءه، وضع الرجل يده على فمه مخافة أن يشم الملك رائحة الثوم والبصل الذي أطعمه الرجل إياه، فقال الملك في نفسه: إن كلام الرجل صحيح، لأن الرجل وضع يده على فمه لأنني في زعمه أبخر، وبدأ الملك يفكر في الخلاص منه، وكان لا يكتب بخط يده إلا بجائزة أو صلة، فكتب بخط يده إلى عامل من عماله، وقال له: إذا آتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنًا وابعثه إليّ، فأخذ الكتاب من الملك، فقابله الرجل الذي وشى به، ونظر إلى الكتاب فوجده بخط الملك، فعرف أنه أمر له بصلة أو مكافأة، فقال: هب لي هذا الكتاب، وكان الرجل طيبًا فوهبه له، فذهب الرجل وهو فرحان جدًا ومضى به إلى العامل الذي قرأه وقال: سمعًا وطاعة للملك، ونادى على السياف وطلب أن يقطع رقبة هذا الشخص ويسلخه ويحشو جلده تبنًا حتى يبعث به إلى الملك كطلبه، ففزع الرجل وقال: هذا الخطاب ليس لي.. ارحموني، فقال العامل: ليس لطلب الملك رفض ولا مراجعة، فقال: أمهلوني حتى أرجع إلى الملك، فرفضوا وقطعوا رقبته ونفذوا أمر الملك. بعد أيام وصل جلد الرجل محشوا تبنا فهدأت نفسه، وبعد لحظات دخل الرجل الطيب إلى مجلس الملك فتعجب الملك وسأل الرجل ماذا فعلت برسالتي التي حملتها مني إلى عامل مكان كذا؟ فقال الرجل:

وأنا خارج من عندك قابلني فلان واستوهبني خطابك فوهبته له.. فقال الملك: ماذا تقول عني للناس، أأنا أبخر؟؟ قال ما قلت هذا أبدًا، وما قلت عنك إلا كل خير، قال الملك: أتذكر يوم كنت تكلمني عن قرب، ووضعت يدك على فمك؟ قال نعم. قال لم فعلت هذا؟ قال: إن الرجل الذي استوهبني الخطاب أطعمني ثومًا وبصلاً فخفت أن تؤذيك هذه الرائحة الكريهة، فقال الملك: ادن مني دائمًا وكفى المسيئ، ما لحق به، فلا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

obeikandl.com

وصف رجل حسود

وصف رجل أعرابي رجلاً حسودًا فقال عنه:

إذا سأل ألحف – وإن سُئل سوّف – وإذا وعد أخلف – وإذا صنع أتلف – وإذا هم بالفعل الجميل توقف – ينظر إلى الآخر نظرة بحقد وبغض – ويعرض عن سماع الحق بغطرسة وتكبر – في لحظة يخيل إليك أنه خِلٌّ ودُود، ولكنه في داخله خَلٌّ ودوُدٌ – فناؤه شاسع – وضيفه جائع – وشره ذائع – ولونه فاقع – وجفنه دامع، – وديارة بلاقع – رديء المنظر – سيئ المخبر – يبخل إذا أيسر – يهلع إذا أعسر، – ويكذب إذا أخبر – إن عاهد غدر – وإن خاصم فجر – وإن خوطب نفر – هكذا وصف الناس الحسود، ولذا قيل في الحسود:

أعطيت كل الناس من نفس الرضا إلا الحسود فإنه أعياني

ما إن لي ذنبًا إليه علمته إلا تظاهر نعمة الرحمان

وأبى فما يرضيه إلا ذلتي وذهاب أموالي وقطع لساني

قال عبد الله بن المعتز:

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له – بخيل بما لا يملكه – طالب ما لا يجده، – فإذا بلي بمن هذه حاله، من حساد النعم وأعداء الفضل، استعاذ بالله من شره – وتوقى مصارع كيده – وتحرر من غوائل حسده – وأبعد نفسه عن ملابسته – وإدنائه لعضل دائه – وإعواز دوائه.

وقال عبد الحميد الكاتب:

أسد تقاربه خير من حسود ترافقه

وقد قيل:

حاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها.

كفر النعمة لؤم – وصحبة الأحمق شؤم.

سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار.

من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه.

مصادقة الكرام غنيمة - ومصادقة اللئام ندامة.

لن تسلم من الناس حتى يسلموا منك.

رأس مال الحليم الصمت ووجاهته إظهار الغضب.

إذا رأيت من يحسدك، وتريد أن تسلم منه، فغم عليه أمورك.

الحاسد يفرح بذلتك، ويسفه رأيك، ويعيب صوابك.

الخير في أهله غريب - والشر من أهله قريب.

من عيّر غيره بشيء ابتلي به.

ليس مع الحسد سرور، ولا مع الحرص راحة، ولا مع السخط غناء.

الحاسد يظهر ودًا في كلامه، وبغضًا في علاقاته بالناس، فهو في الظاهر صديق وفي الحقيقة عدو لدود.

كفى أدبًا لنفسك ما كرهته من قول أو عمل غيرك.

لا شرف للإنسان مع سوء أدب، ولا مع شطح وبخل.

الشقي من جمع لغيره وضيق على نفسه.

الحكيم يتألم بحديث الجاهل، والجاهل يتألم بسماع الحكمة.

سب الجاهل للحكماء والعلماء تشريف لهم عند أهل الذوق والمعرفة.

صديق الرجل عقله، وعدوه حمقه.

obeikandi.com

الكريم لا يستحي من إعطاء القليل.

الحسود من الهم كساقي السم، فإن سرى سمه في جسد إنسان زال عنه همه.

obeikandl.com

أقـوال

من تكبر على الناس ذل، ومن أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن سل سيف الغدر قتل به، ومن حفر لأخيه حفرة وقع فيها، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن خالط العلماء وجالسهم وقر، ومن خالط السفهاء والأنذال حُقر، ومن دخل مداخل السوء وارتاد الأماكن السيئة اتهم ولا يلومن إلا نفسه.

ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه.

خير ميراث يورثه الآباء للأبناء الأدب والأخلاق النبيلة.

وحسن الخلق خير قرين للإنسان.

كم من إنسان يستقبل يومًا لا يستكمله وينتظر غدًا وليس من أهله.

لو أبصرتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

العاقل يرغب في الأدب، وإن فاته لزم الصمت.

إذا جهل عليك الأحمق فالبس له سلاح الرفق وسعة الصدر، وردد في نفسك: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[1].

(١) سورة الفرقان الآية:٦٣.

الحسد المحمود

الحسد المذموم والمحرم هو تمني زوال النعمة من عند الغير، وهو مرض نفسي، وله آثار سيئة، توثر في العلاقات الاجتماعية بين الناس، وهذا الحسد مذموم ملعون صاحبه، وهو حرام.

أما الحسد المحمود، فهو أن الإنسان يتمنى أن يكون له مال مثل فلان الغني، ينفق منه على الفقراء والأرامل واليتامى، أو يتمنى الإنسان أن يكون عالمًا مثل إمام المسجد «الفلاني»، ليعظ الناس ويصلي في المسجد .. وهكذا، فالشخص يطلق عليه حاسد، لكنه في الحقيقة لا يكره النعمة، ولا يتمنى زوالها من عند غيره، بل زيادتها له، ويسأل الله أن يعطيه مثله، لينفق منها في سبيل الله، وأنت عندما تشتهي ذلك وتتمناه، فإن ذلك يسمى غبطة، ويسمى منافسة، وفي ذلك جاء قول الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝﴾[1] وقد قال القائل:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرهم غيظًا بما يجد

إن الحسد المحمود هو غبطة شخص على ما هو فيه من عمل صالح، وقول الخير، والصلح بين الناس، فأنت تتمنى أن تكون مثله مع الدعاء له بالزيادة والتوفيق. إن الشخص يتمنى أن ينال مثل هذه النعمة أو العز أو الجاه، ليعمل في ذلك بالخير ولصالح الناس، وفي بيان هذا جاء قول رسول الله ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه... ما نقص مال من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر».. ثم قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم أن لله فيه حقًا فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما

(١) سورة المطففين الآية: ٢٦.

سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا يخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه، ولا يصل رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي علمًا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته، فوزرهما سواء»[1] إن المنافسة مأخوذه من التسابق. والذي يدل على المنافسة قول الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[2] وقد صرح رسول الله ﷺ بأن المنافسة في فعل الخير شيء مستحب، فقال عليه الصلاة والسلام «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علمًا فهو يعمل به ويعلمه الناس»[3]. إن المنافسة ليست حرامًا بشرط أن لا تعتدي على غيرك، وقد يستعمل لفظ الحسد بدلا من المنافسة، ولا شيء في ذلك، ما دام القلب ليس فيه غل ولا حقد ولا كبر ولا تمني زوال النعمة من عند الغير، وإنما هو التمني لدوام النعمة عند الغير، وأن يعطيه الله مثلها، ليعمل بعمله الطيب، لأن المنافسة هي طلب التشبه بالأفضل، من غير إدخال ضرر على أحد؛ فالمنافسة فضيلة، لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل والاقتداء بأخيار الناس وأفاضلهم، وقد جاء في الأثر «المؤمن يغبط والمنافق يحسد» وفي آخر: «استعينوا على قضاء الحوائج بسترها، فإن كل ذي نعمة محسود»، «وإذا رأيت من يحسدك، وسرك أن تسلم منه فعم عليه أمرك». إن المنافسة هي أن يتشبه الشخص بمن يعملون الخير، ويقومون بالصلح بين الناس، ويسهمون بأموالهم في رفع مستوى المعيشة للناس، ويساهمون في العمل الاجتماعي الخيري. إن المنافسة هي اكتساب الفضائل، والاقتداء بأهل الخير والفضل والجود والكرم والتسامح، والتعايش مع الناس بروح المحبة والتآلف والتعاون؛ فإذا حسد الإنسان أهل الفضل فهو يغبطهم ويتمنى أن يكون مثلهم، مع الدعاء لهم بالزيادة؛ فهذا حسد محمود، أما الحسد المذموم، فهو كراهة النعمة، وتمني زوالها عن المنعم عليه. ونؤكد أنه لا حجر في الأسماء، إذا فهم المعنى. وقد جاء في الأثر: «المؤمن يغبط والمنافق يحسد» ولهذا قال الرسول

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢١.

(٣) متفق عليه.

ﷺ «لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علمًا فهو يعمل به ويعلمه الناس»[1].

إن المنافسة والغبطة شيء يرضاه الله من العبد، مع سلامة القلب، فإذا لم أنل ما عند صاحب المال أو العالم، فأنا أدعو لهم، وأتمنى دوام النعمة عندهم، مع إرادة اللحوق بهم.

(١) سبق تخريجه.

obeikandl.com

الحاسد ينشر فضائل المحسود

قد يكون الحسد سببًا لإظهار فضل المحسود، وبسبب حسده ينبه الحاسد على فضائل للمحسود. إن كثيرًا من الناس يعملون الخير سرًا ولا يحبون أن يبوحوا به، ولا يعلم به أي شخص، مثل سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ، فقد حدث بعد أن تولى الخلافة أنه كان يتفقد الأحوال ليلاً وحده فوجد منطقة عشوائية خارج المدينة فطرق على عشة صغيرة، فسمع صوت امرأة متحشرج تقول «ادخل أيها الطارق» فدخل فإذا امرأة مريضة مكفوفة البصر، فسألها عن أحوالها قالت: أنا جائعة مريضة، ولا أحد يدخل على، وهنا شمر أبو بكر ملابسه وأخذ يكنس الحجرة وأخذ ما بها من فضلات ورمى بها في الصحراء وحمل الإناء على كتفه وملأه ماء من الخارج، المهم أنه أطعم المرأة وسقاها ونظف المكان وغسل الملابس، ثم توجه إلى صلاة الفجر، وقد استمر على ذلك ما يقرب من سنة، كل ليلة يقوم بهذا العمل. وفي أحد الأيام لاحظ عمر بن الخطاب هذه العشة، فذهب إليها فوجد المرأة حجرتها نظيفة، ملابسها مغسولة، طعامها مصنوع، فسألها من يقوم لك بهذا العمل يا أماه؟؟ قالت: لا أدري، غير أنه يأتي رجل كل ليلة فيقوم بهذا العمل، وكلما سألته عن اسمه قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويأمرني أن أسبح الله وأشكره فهو الحليم الستار الكريم. تعجب عمر وأضمر في نفسه أن يراقب المكان ليعرف هذا الشخص، وحضر قبيل الفجر وسأل المرأة قالت: حضر وأنجز العمل وانصرف، ثم في ليلة جاء مبكرًا فوجده قد أنجز مهمته، وفي الليلة التي بعدها صلى العشاء واتجه إلى المكان يراقبه فوجد شخصًا يلتف بعباءته ودخل يعمل، وإذا بعمر بن الخطاب يقول: من أنت أيها الرجل؟ كان أبو بكر ﷺ يلتف بشيء على رأسه وقد أخفى وجهه، فلما تقدم منه عمر عرفه وصاح وقال: أبو بكر .. يا سبحان الله، خليفة رسول الله ﷺ! ولِمَ لمْ تكلف أحدًا غيرك؟؟ فقال: يا عمر هذه مسئوليتي، وأنا سأحاسب عليها أمام الله: أخذ عمر المكنسة من أبي بكر وقال: هذه مسئوليتي وأنا المسئول عنها – وهكذا يكون العمل الذي يغبط الإنسان من يقوم به، وهذا

عمل سري، أما العلني فهو كقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يوم أن تولى مقاليد الإمارة وأصبح الحاكم عندما صاح بأعلى صوته: «والله لو عثرت بغلة في العراق لوجدتني مسئولاً عنها أمام الله يوم القيامة» وسيدنا أبو بكر الصديق ﷺ وسيدنا عمر ﷺ على حق فقد قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾[1] ويقول الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾[2] فالذي يعمل سرًا يأتي الحاسد فينشر فضله وينبه الأذهان إلى عظيم عمله ومروءته وهمته وعطائه، ولهذا قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

لولا التخوف للعواقب لم يزل ... للحاسد النعمى على المحسود

العلاج

إن الطبيب له علم يطب به ... ما دام في أجل الإنسان تأخير

حتى إذا ما انتهت أيام مدته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

ويقول الآخر:

لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها

والرسول ﷺ يقول: «العين حق، ولو كان شيء سابق لقد سبقت العين»[3] ويقول عليه الصلاة والسلام «لا رقية إلا من عين أو حمة»[4] ويقول عليه الصلاة والسلام «العين حق

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧١.

(٢) سورة الرعد الآية: ١٠.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم وابن ماجه.

حتى لتورد الرجل القبر وتدخل الجمل القدر»[1] لكل هذا نبهنا الإسلام إلى علاج الحسد، وأول مبادئ العلاج هي:

إذا شعرت بأن شخصًا نظر إليك نظرة مريبة وهو شخص حاقد وتخاف أن يحسدك، فاقرأ قول الله سبحانه: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2] ﴿ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾[3] ثم قم بفعل الآتي: توضأ وصل ركعتين، وبعد الانتهاء، وأنت جالس تضم كفيك إلى بعضهما وتقول - بعد أن تنفخ في كفيك وتواصل النفخ كلما أخذت نفسك وتقول – بسم الله الرحمن الرحيم – أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق وبرأ – أعوذ بالله من الشيطان الرحيم – أعوذ بالواحد الأحد – حصنت نفسي بالله الواحد الأحد، وتقرأ الفاتحة – وقل هو الله أحد – وقل أعوذ برب الفلق – وقل أعوذ برب الناس» ثم تمسح بيدك على رأسك ووجهك وجسدك. وهذه هي الرقية الشرعية وهي مطلوبة من الإنسان أن يعملها، يعملها لنفسه، ويعملها لغيره، ففيها الشفاء بإذن الله.

أصاب الحسن والحسين أولاد السيدة فاطمة رضي الله عنهم جميعا عين فاغتم رسول الله ﷺ فجاءه جبريل فقال: يا محمد، ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال الحسن والحسين «أصابتهما عين» قال: صدق بالعين، فإن العين حق، أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات؟ قال: وما هن يا جبريل؟ قال.. قل اللهم ذا السلطان العظيم، والمن القديم، ذا الوجه الكريم، ولي الكلمات الطيبات والدعوات المستجابات، عافِ الحسن والحسين من أنفس الجن، وأعين الإنس. فقالها النبي ﷺ فقام الحسن والحسين يلعبان فقال رسول الله ﷺ: «عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله»[4] وقد روي أن سهل بن

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١ دار المعرفة بيروت عام ١٩٦٩.
(٢) سورة يوسف الآية: ٦٤.
(٣) سورة التوبة الآية: ١٢٩.
(٤) تفسير ابن كثير المرجع السابق.

حنيف اغتسل، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد. فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم. ولا جلد مخبأة كهذا؟؟ فلُبِط سهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله هل لك في سعد؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق، فقال: هل تتهمون فيه من أحد؟ قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامرًا فتغيظ عليه وقال: علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك برَّكت؟ ثم قال: اغتسل له، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب الماء عليه، فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك، فراح سهيل مع الناس ليس به بأس»[1] يقول رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليبرك فإن العين حق»[2] وجاء جبريل إلى النبي: ﷺ فقال له: اشتكيت يا محمد؟ قال: نعم، قال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس وعين حاسد، بسم الله أرقيك، والله يشفيك – باسم الله أرقيك»[3] وقالت أسماء بنت عميس: يا رسول الله، إن ابني جعفر تصيبهما العين أفأسترقي لهما؟ قال: نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين»[4] وأقوى علاج من السحر هو الإيمان بالله – والاعتماد عليه – وقراءة القرآن وعمل الرقية الشرعية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه. والمحافظة على الصلاة في أوقاتها، وقيام الليل للتهجد، والإكثار من الاستغفار وقت السَّحر والصبر وعدم الشكوى لأحد مما تشعر به – كن مع الله يكن الله معك – احفظ ما أمرك به الله يحفظك الله – وكن حسن الخلق، وثق أنه يحفظك ويدافع عنك، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي.

obeikandl.com